الصراع بين الفاطميين والأمويين الأندلس في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وتأثيره على المغرب الأوسط

The Conflict Between the Fatimids and the Umayyads of al-Andalus in the Western Mediterranean Basin and its Impact on the Central Maghreb

بلعربي خالد

جامعة الجيلالي ليابس–سيدي بلعباس(الجزائر)، **belarbi.tlemcen@yahoo.fr**

تاريخ الإرسال:2025/12/29 تاريخ القبول: 2026/06/11 تاريخ النشر: 2026/07/09

الملخص:

يُلخّص هذا البحث الصراع بين الخلافة الفاطمية (الشيعية) والأموية في الأندلس (السنية) خلال القرن الرابع الهجري في الحوض الغربي للمتوسط وتأثيره على المغرب الأوسط،لقد اتخذ هذا الصراع أشكالاً متعددة شملت الجوسسة، والدعاية المذهبية، ودعم الثورات الداخلية لإضعاف الخصم.

برز المغرب الأوسط (الجزائر حالياً) كساحة رئيسية لهذا التنافس نظراً لأهمية موانئه ومسالكه البحرية الحيوية للتجارة والاتصال،سياسيا اعتمد الطرفان المتصارعان على تحالفات قبلية؛ حيث ناصر الصنهاجيون والكتاميون الفاطميين، بينما دعم الزناتيون الأمويين، أما اقتصادياً، فقد تسابقت القوتان للسيطرة على المراسي الهامة مثل مرسى الخرز ووهران وتنس، لما تدرّه من أرباح تجارية،وعسكرياً، شهدت المنطقة سباقاً لبناء الأساطيل الحربية وتشييد القواعد البحرية، مما أدى لاصطدامات بحرية عنيفة. خلصت الدراسة إلى أن هذا الصراع كان مزيجاً من الطموحات السياسية، والاقتصادية، والعقائدية التي أعادت تشكيل التوازنات في الغرب الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: الأمويون؛ الفاطميون؛ المغرب الأوسط؛الصراع؛ البحر الأبيض المتوسط

Abstract : This research explores the conflict between the Fatimid Caliphate and the Umayyads of al-Andalus in the Western Mediterranean during the 10th century (4th century AH). The struggle utilized diverse methods, including espionage through undercover agents, sectarian propaganda, and the fueling of internal rebellions to destabilize rivals**.**

The Central Maghreb (modern-day Algeria) emerged as a primary theater for this competition due to the strategic importance of its ports and maritime routes. Politically, both powers relied on tribal alliances: the Sanhaja and Kutama supported the Fatimids, while the Zenata backed the Umayyads. Economically, the two empires vied for control over vital harbors such as Mers el-Kharez, Oran, and Tenes to monopolize trade profits. Militarily, the era witnessed an arms race in naval shipbuilding and the fortification of coastal bases, resulting in violent maritime clashes. The study concludes that this conflict was a complex blend of political, economic, and ideological ambitions that reshaped the power balance in the Islamic West

Keywords: The Umayyads; The Fatimids; The Central Maghreb ;The Conflict;The Mediterranean Sea.

المؤلف المرسل: بلعربي خالد، **الإيميل**: belarbi.tlemcen@yahoo.fr

1– مقدمة:

منذ ظهور الفاطميين في الغرب الإسلامي في أواخر القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي عرف غرب البحر المتوسط تحولا عميقا ، فبعد أن كان مجالا جغرافيا تابعا للخلافة الإسلامية في المشرق، شهد مع حلول الفاطميين بالمغرب الإسلامي خلافتين إسلاميتين متنافستين : أولهما الخلافة الفاطمية الشيعية الإسماعيلية، و ثانيهما الخلافة الأموية بالأندلس التي كانت سنية مالكية، و قد كان غرب البحر الأبيض المتوسط بؤرة الصراع بين هذين الخلافتين المتصارعتين طيلة القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، ، وقد برز هذا الصراع أكثر وضوحا" من خلال المعارك والحروب التي دارت بين الطرفين من اجل السيطرة على المسالك التجارية ، أو بالأحرى السيطرة على المسالك البحرية في الحوض الغربي للبحر البحر المتوسط ، و قد شاركت فيه قطع الأسطولين للسيطرة على هذه الطرق و الاستحواذ على تجارتها، و تركز الصراع بين الطرفين المتنازعين في ثلاث مناطق ساحلية على امتداد ساحل بلاد المغرب الإسلامي المواجه لسواحل الأندلس الشرقية و الجنوبية، و كانت سواحل المغرب الأوسط واحدة من هذه السواحل بين الطرفين المتصارعين ، فمنذ أن قامت الدولة الفاطمية و مدت نفوذها على المغرب الأوسط استحوذت على الطرق

عنوان المقال:الصراع بين الفاطميين والأمويين في الأندلس في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وتأثيره على المغرب الأوسط

البحرية و أنشأت موانئ فيه للاستئثار بجميع مزاياها الاقتصادية و العسكرية لحسابها، و هو الأمر الذي أضر بمصالح الأندلس و جعلها تفقد الكثير من هذه المزايا. ولهذا أدرك الأمويون في الأندلس خطورة الموقف وأثره السيئ على التجارة الأندلسية، فعمدوا للتدخل في شؤون المغرب الأوسط(الجزائر) وتحالفوا مع القبائل الحانقة على الفاطميين فوجدوا ضالتهم في قبيلة زناتة وأفخاذها المنتشرة في المغرب الأوسط والذين أوغرت صدورهم هيمنة قبائل كتامة حلفاء الفاطميين على السلطة في هذه البلاد،فكانت الحروب والاشتباكات بين أنصار الدولتين من الكتاميين والزناتيين لا تنتهي من اجل مساعدة كل طرف من هذه الأطراف المتنازعة في السيطرة على البحر الأبيض المتوسط والمسالك البحرية.

تتمحور إشكالية البحث حول طبيعة وأشكال الصراع بين أموي الأندلس والفاطميين في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط خلال القرن الرابع الهجري (10م)، وكيف انعكس هذا التنافس على المغرب الأوسط، وتسعى الدراسة للإجابة على التساؤلات التالية: كيف تحول غرب المتوسط إلى مسرح لتصادم خلافتين إسلاميتين؟ وما هي الأساليب السياسية، والاقتصادية، والعسكرية التي اعتمدها كل طرف لفرض سيطرته على الموانئ والمسالك البحرية؟ وأخيراً، ما هو دور القوى القبلية المحلية (كتامة، وصنهاجة، وزناتة) في توجيه دفة هذا الصراع؟

اتبعث في بحثي هذا على المنهج الوصفي التحليلي في نشأة الخلافة الفاطمية في الغرب الإسلامي وتحليل التحولات التي طرأت على الحوض الغربي للمتوسط، كما تم تحليل أساليب الصراع مثل الجوسسة، والدعاية المذهبية، والتحالفات القبلية، وعلى المنهج المقارن في المقارنة بين استراتيجيات القوتين الأموية، والفاطمية في بناء الأساطيل، والسيطرة على الموانئ، وكسب ولاء القبائل، وعلى المنهج الاسترادي من خلال الاعتماد على المصادر الأولية مثل ابن عذاري، والبكري، والقاضي النعمان لاستعادة الأحداث والوقائع العسكرية والبحرية التي شهدها القرن الرابع الهجري(10م).

2:أشكال الصراع الفاطمي الأموي في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط:

اتخذ الصراع الفاطمي- الأموي الأندلسي حول غرب البحر الأبيض المتوسط في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي صيغا متعددة نذكر منها:

1.2:الجوسسة:

من أجل تحقيق مشروعهم و المتمثل في غزو الأندلس، قام الفاطميون بإرسال جواسيس متنكرين بأقنعة مشروعة كالتجارة و طلب العلم، لمعرفة أحوال البلاد و مواطن القوة و الضعف فيها، و لتنفيذ هذه المهمة ،أرسلوا دعاة كانت لهم مواهب فذة و خبرات وافية للتعامل مع مختلف الشرائح الاجتماعية في المجتمع الأندلسي، و من أولئك الدعاة أبو اليسير إبراهيم بن محمد الشيباني البغدادي المعروف بالرياضي،و هو أول جاسوس مشرقي يفد إلى الأندلس(إبراهيم القادري، 2019، ص187) وكان كاتبا لعبيد الله للمهدي،توفي في16 جمادى الأولى 298هـ/20فبراير911م ، و قد أشار ابن الفرضي أن دخوله للأندلس كان بغرض التجسس(ابن الفرضي ،1989، ص126) وان كان بعض المؤرخين يشيرون إلى فشل مهمته التجسسية ،فإنه تمكن من نشر الفكر الشيعي في الأندلس(فيلالي،1983،ص 133)أما ثاني هؤلاء الجواسيس الذين كان لهم دور في هذا المجال نذكر، ابن حوقل النصيبي(ت.367-977م) والذي زار الأندلس في عهد الخليفة الناصر لدين الله (300-350هـ-912-961م) ، وكان متسترا تحت قناع التجارة، و يعد كتابه "صورة الأرض" أهم وثيقة في التجسس حيث تعرض فيه لمصادر الطبيعة الزراعية و المعدنية لبلاد الأندلس رافعا بذلك تقريرا للفاطميين، و تشجعهم على غزو الأندلس(وديع أبو زيدون، 2005، ص 232)كما وصف حكامها بضعاف العقول و صغر الأحلام و قلة الشجاعة لديهم، و قد فشل ابن حوقل في تحقيق مسعاهو المتمثل في توجيه أنظار الفاطميين نحو غزو الأندلس من خلال ذكر خيراتها الطبيعية(وديع ، 2005، ص233) ،أما ثالث هؤلاء فهو أبو جعفر بن هارون البغدادي الذي كان كاتبا لعبيد الله المهدي، وقد زار الأندلس عدة مرات مختفيا بعباءة العلم ، و يبدو أنه نجح في مهمته التجسسية حيث أمد الفاطميين بمعلومات في غاية الأهمية عن الأوضاع و السياسية و الدينية و الاجتماعية عن الأندلس(ليلي ،1983، ص39) ،و رغم فشل الفاطميين في تحقيق مسعاهم

باستخدام أسلوب الجاسوسية، فإنهم نجحوا في جذب و استمالة بعض الشخصيات إلى صفوفهم ، نذكر منهم على سبيل المثال، محمد بن سعدون الأزدي المعروف بابن هانئ الأندلسي الذي قام بتدعيم المذهب الشيعي في بلاد المغرب الإسلامي(ليلي ،42،1983)، و علي بن حمدون الجذامي الذي عينه عبيد الله المهدي واليا على المسيلة و ظل كذلك إلى غاية وفاته في عهد الخليفة القائم(وديع ،2005، ص233)، و نذكر كذلك عمر بن حفص بن جعفر الإسلامي الذي ثار على الحكم الأموي في الأندلس أواخر القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي حيث قام الفاطميون بدعمه بالسلاح و الذخيرة (وديع ،2005، ص233)،رغم ذلك فشل الفاطميون في تحقيق أهدافهم الرامية لنشر المذهب الشيعي في الأندلس نظرا لتجدر و تأصل المذهب المالكي في نفوس أهل الأندلس (إبراهيم القادري، 2019، ص188)،ولم تقف الخلافة الأموية في الأندلس مكتوفة الأيدي أمام محاولات الفاطميين التدخل في الأندلس، فقد لجأت هي الأخرى لبث جواسيس في كامل ربوع بلاد المغرب و الأندلس من أجل الحصول على كل التفاصيل المتعلقة بأخبار الدولة الفاطمية ،واستخدمت في هذا الإطار أهل السنة المالكية في بلاد المغرب ليكونوا عونا لها ضد الدولة الفاطمية الشيعية الإسماعيلية خاصة إذا علمنا أن هذه الأخيرة قد قمعت أهل السنة عموما ومنهم المالكية على وجه الخصوص، و قد تجلى ذلك في استخدام دعاة الأكثر معارضة للفاطميين، و منهم يحي بن عمر(ت289هـ-901م) الذي كان يفتخر بولائه لبني أمية(ليلي ، 1983، ص42)و أبي جعفر بن خيرون من كبار أغنياء القيروان(السيد عبد العزيز ، 2008، ص528) و أبي الحسن الخلاف الفقيه الذي كان يرى أن محاربة الفاطميين فرضا واجبا على كل مسلم و أن قتالهم أفضل من قتال المشركين ، وهو نفس المنحنى الذي ذهب إليه ربيع ابن القطان الذي اتخذ عهدا على نفسه بمحاربة الفاطميين بل أنه حتى كفرهم(الدباغ، ج3، 1968، ص34) .

2.2:الإعلان عن خلافتين متضادتين:

لمواجهة الدعاية الشيعية في الأندلس قام عبد الرحمن الناصر بإعلان الخلافة التي اعتبرها الفاطميون حقا من حقوق أئمتهم، و اعتبرها الأمويون ميراثا لهم، وبذلك أصبح العالم في منقسم في هذه الفترة إلى قسمين،قسم شرقي تابع للخلافة الأموية الأندلسية السنية ، وجزء غربي تابع للخلافة الشيعية الفاطمية في المغرب، و قد حاول كل طرف من الأطراف المتصارعة تأكيد تفوقه على الآخر ، و مما شجع عبد الرحمن الناصر إعلانه الخلافة هو ضعف الخلافة العباسية في المشرق التي أصابها الضعف و الوهنواعتماده على فقهاء السنة الذين أجازوا مبدأ التعدد إذا كانت مصلحة المسلمين تقتضي ذلك حيث أقروا بوجوب إمامين يحكمان في وقت واحد(ابن أبي زرع ،1973،ص84) ،فأعلن الناصر نفسه خليفة على المسلمين بعد أن كان أميرا و تلقب بالناصر لدين الله سنة316هـ-929م ،واعتبر الفاطميون أن قيام الناصر لدين الله بإعلانه الخلافة قد ادعى حقا ليس له و استوجب عليه قتاله(زغروت، 1973،ص84).

3.2 :محاولات كل من الطرفين المتصارعين تدعيم الثوار ضد الآخر:

سعى كل طرف من الأطراف المتصارعة إلى الكيد للطرف الآخر على أرضه بتفجير الثورات و إثارة القلاقل و الاضطرابات من جهة أخرى،فقد عمل الفاطميون على إحكام صلاتهم بالثوار المنشقين على بني أمية في الأندلس و تشجعيهم بمختلف الأساليب على بث الفوضى بهدف تشتيت قوة الناصر وإضعاف دولته، و إشغاله عن مد يد العون للزناتيين حلفائه في المغرب الأقصى ، و من أهم الثورات التي دعمها الفاطميون ضد الناصر، ثورة ابن حفصون التي امتدت قرابة الخمسة و عشرين عاما ،و قد اتخذ منها عبيد الله المهدي فرصة سانحة لتأييدها و تقويتها ضد الناصر(محمد اللافي ،2011 ،ص361) و ثورة مهدي الأندلس و صاحبها من البيت الأموي الذي يعرف بابن القط الثائر و اسمه"معاوية بن هشام الأموي"، و تعد ثورته هذه نتيجة تأثره بالفكر الشيعي في مرحلة مبكرة ،تسمى بالمهدي ،أعلن عن ثورته سنة 288هـ-901م(وديع،2005، ص 240)، و كذلك ثورة الداعي "أبي الخير" التي تعد من بين أخطر الثورات التي شهدتها الأندلس في عهد حكم المستنصر،فقد عمت سائر بلاد الأندلس،وهي إحدى ثمرات الجهد الفاطمي في نشر الدعوة للاسماعلية في الأندلس(عبد الجليل،2018 ،ص264)، ولم يتوان الأمويون هم أيضا في تأييدهم لثورات بلاد المغرب الإسلامي ضد النفوذ الفاطمي،و منها ثورة "ابن طالوت القرشي" بنواحي طرابلس،وثورة بن أبي سهل الجذامي(العبادي ،1992، ص526) و لعل أخطر ثورة شكلت خطرا حقيقيا على الوجود الفاطمي في بلاد المغرب

الإسلامي خلال هذه الفترة،ثورة أبي يزيد مخلد التي عبرت عن رفض الزناتيين لنظام الحكم الفاطمي(زغروت ،2006 ص 50)،و قد قام الخليفة الناصر بدعمها بالمال و الرجال و السلاح، و ذلك لسببين: الأول: يتعلق بالثائر أبا يزيد الذي كان من قبيلة زناتة و هي إحدى القبائل المحالفة للأمويين في المغرب الإسلامي و المقاومة لأطماع الفاطميين، الثاني:أن اشتراك المالكية في الثورة يعد مظهرا من مظاهر المؤازرة المذهبية و التي حرص كل من الناصر و أبي يزيد على إبرازها،فالناصر كان حريصا على اتخاذ من مالكية المغرب الإسلامي جبهة قوية تعضد جبهة المالكية في الأندلس للوقوف في وجه المذهب الشيعي الإسماعيلي(محمود ،1976 ،ص91) كما حرص أبو يزيد على اشتراك المالكية في ثورته لتقرب من الناصر و يدخل في طاعته، و قد عبر عن ذلك ابن خلدون قائلا" وكان ملتزما لطاعته و القيام بدعوته مطالبا لمدده"(ابن خلدون، ج4، 1958 ،ص24).

4.2:البحث عن الحلفاء من القوى السياسية والقبلية في بلاد المغرب الإسلامي:

تجلى ذلك عن طريق تدعيمهم ماديا و معنويا، فوجدهم أمويو الأندلس في مغراوة الزناتية التي وجدت أن مصالحها تتمثل في التحالف مع الأمويين وليس الفاطميين ،ووجدهم الفاطميون في صنهاجة التي حمت الحركة الفاطمية منذ ظهورها في بلد المغرب الإسلامي، و قد أشار صاحب كتاب مفاخر البربر إلى سياسة الناصر نحو سكان سواحل المغرب" و تخطاهم عبد الرحمن إلى من خلفهم من زعماء قبائل البربر يستألفهم و يحمل أهل الطاعة على أهل المعصية منهم،ممهدا لمن عجز برجاله مقويا لمن ضعف بماله ...متعهدا بوجوه رسله و خواصه ،إلا أن تميز أكثر بوادي زناتة في حزبه و ارتسموا بطاعته و لاسيما عند امتياز أضدادهم صنهاجة في حزب أعدائه بني عبيد الله"(مؤلف مجهول ، 2005، ص123).

3.المغرب الأوسط في الاستراتيجية البحرية للفاطميين وأموي الأندلس خلال القرن الرابع الهجري:

1.3الأهمية الاستراتيجية والمكانة المحورية لمراسي المغرب الأوسط:

تمتعت بلاد المغرب الإسلامي بجبهة ساحلية كبيرة ممتدة على سواحل حوض البحر الأبيض المتوسط، أقيمت عليها مرافئ ومراس طبيعية ساعدت على توثيق الصلات التجارية والاقتصادية بين تجار العدوتين،

وقد استحوذت مرافئ ومراس هذا الحوض على جل اهتمام الدولتين المتصارعتين،إذ كانت تمثل مراكز الاتصال الوحيدة بين بلاد المغرب الإسلامي والأندلس حيث انعدمت سبل الاتصال البرية.تعتبر هذه المراسي هي مراكز الاتصال الوحيدة بين بلاد المغرب والأندلس، في ظل انعدام سبل الاتصال البري،فالمغرب الأوسط بساحله الممتد وتعرجاته الطبيعية وفّر قرابة خمسين مرسىً، مكنت من ربط العدوتين ببعضهما،لقدشهدت الجبهة الساحلية للمغرب الأوسط صراعا اقتصاديا قويا بين القوتين المتصارعتين للسيطرة عليها في إطار الصراع الاقتصادي بين الدولتين،وترجع عوامل هذا الصراع بين القوتين لإدراكهما قيمة المناطق الساحلية للمغرب الأوسط(محمد صابر ، 1973، ص83)، و عمد الأمويون إلى توطيد علاقتهم بمدن سواحل المغرب الأوسط و أقاموا عدة موانئ ساحلية على سواحل الأندلس توازي موانئ المغرب الأوسط، ساعدت على قيام علاقات مباشرة بين سكان البلدين،(فتحي زغروت ،2006 ،ص 218) فشيدت أحواض و مكاسر و أبراج و سلاسل وترسانات كبجاية ،و مرسى الجزائر، و مرسى الخرز و مرسى بونة ،و تنس، و القالة، و سكيكدة، و وهران(فتحي زغروت ،2006 ،ص 226).

2.3 السيطرة على طرق التجارة الدولية (البعد الاقتصادي):

حرصت السلطة الحاكمة الأموية على دعم الصلات و تقويتها كذلك مع مجموعة من مرافئ المغرب الأوسط كانت بمثابة المنافذ الرئيسية لتجارة الأندلس، و قد ساعدت طبيعة الساحل بالمغرب الأوسط بتعاريجه الكثيرة و جزره المتعددة على إقامة هذه المراسي التي ذكر منها البكري قرابة الخمسين مرسى منتشرة على ساحل البحر الأبيض المتوسط للمغرب الأوسط ،يقابلها اثنا عشر مرسى أندلسيا(البكري ،1911 ،ص81) ،و عمد الخليفة الناصر إلى التحالف مع القبائل الخانقة على الفاطميين و في مقدمتهم قبيلة زناتة التي لم يعجبها هيمنة قبيلة كتامة حلفاء الفاطميين على السلطة في بلاد المغرب الأوسط، فأخذ يدعمهم بالمال و السلاح و المراكب الحربية لاستنقاذ المدن الكبرى و المرافئ من قبضة الفاطميين(مصطفى مسعد،2000،98) ، و قد تبادلت قطع من أساطيل الدولتين الغارات على سواحل كل منهما، كما كانت الحروب بين أنصار الدولتين من الكتاميين و الزناتيين لاتنتهي، و من أهم المرافئ و المراسي المتصارع

عليها من قبل الفاطميين و أموي الأندلس، مرسى الخرز الذي يقع على البحر الأبيض المتوسط شرقي بونة، و كانت تبنى فيه السفن و المراكب الحربية و يشتهر مرسى الخزر بالمرجان الذي كان يدر دخلا كبيرا للدولة الفاطمية، و كان سببا في هجوم الأساطيل الأموية عليه، فلاغرو أن يكون هدفا من أهداف الناصر الأموي للاستحواذ على هذه الثروة الثمينة((البكري ،1911 ،ص55) ، كما كان مرسى بونة محل الصراع بينهما، و تكمن أهميته بسوقه الكبيرة و بثرواته المهمة مثل الحديد و الكتان و القمح و كان أغلب التجار من الأندلس و هو ماحدا بالناصر للإغارة عليه في إطار حملته البحرية التي توجهت إلى بلاد المغرب الإسلامي(ابن عذاري ،ج2، 2013 ،ص218)، وشكل مرسى القالة و سكيكدة كذلك صراعا بين الفاطميين و أموي الأندلس خاصة أنهما كانتا تقعا على حافة البحر الأبيض المتوسط، و تتميزان كمركزين تجاريين نشيطين مع بلاد جنوة الأوروبية(الوزان ،1983، ص172) ،إضافة الى مرسى جزائر بني مزغنة الذي كان يقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط وتكمن أهمية هذا الميناء بالنسبة للأطراف المتصارعة أنه يعد سوقا لقبائل الجنوب كان يتردد عليه التجار بمنتجات الصحراء و السودان ،و قد أولى الناصر اهتماما كبيرا بمرسى جزائر بني مزغنة و في هذا الصدد يشير ابن عذارى إلى أن " الناصر استقبل والي هذا الميناء"حمزة بن ابراهيم" بقصر الزهراء سنة 337هـ(ابن عذاري ، ج2 ،2013 ،ص115)ثم كذلك مرسى تنس الذين أسسه البحريون من أهل الأندلس سنة262هـ ، و قد شكل هذا الميناء أهمية بالغة للأندلسيين الذين كان التجار منهم ينزلون فيه بمراكبهم للتجارة ، لهذا عمد الفاطميون إلى جباية الأموال من هذا الميناء بوجوه مختلفة كالخراج و الجوالي و الصدقات و الأعشار(البكري ،1911 ،ص61)وكانت تقيم المراصد على المتاجر الداخلة إليه و الخارجة منه ،ويبدو أنها كانت جائرة بالنسبة للتجار الأندلسيين،وهو ما دفع الناصر للإغارة عليه ضمن سلسلة غارات أساطيله في عرض البحر الأبيض المتوسط ،هذا دون أن ننسى مرسى وهران، و تبرز أهميته في انفتاحه على التجارة القطالونية و الجنوية و كان يدر على الفاطميين أرباحا كثيرة و كان يرتاده التجار الأندلسيون بقوة حاملين إليه السلع الأندلسية

ثم يعودون منه محملين بالغلال ،فكانت حركة التجارة بين مرسى وهران و مرسى الأندلس نشيطة جدا حتى ابن حوقل اعترف بذلك و قال بأن"وهران فرضة الأندلس"(ابن حوقل ،1938،ص125) ، و إذا كانت وهران قد ظلت تحت نفوذ الفاطميين، إلا أنها عرفت فتنا من قبل سكانها المنشقين من الزناتيين و الصنهاجيين عانى منها التجار الأندلسيون كان آخرها تلك الحرب القاتلة سنة343هـ حين دخلها يعلى بن محمد بن صالح اليفرني و قتل الكثير من سكانها(ابن عذاري ، ج2 ،2013 ،ص216).

يتبين من خلال هذا العرض أن سواحل المغرب الأوسط ومراسيه كانت عرضة للصراع الفاطمي الأموي، و إن كان الصراع حول هذه الموانئ أخذ طابعا سياسيا و عسكريا، فإنه لم يكن يخلو من وجود دوافع اقتصادية حركت هذا الصراع و دفعت بالأطراف المتنازعة للسابق من أجل السيطرة على هذه الموانئ من جهة و البحر الأبيض المتوسط من جهة أخرى، لقد كانت هذه الموانئ بمثابة الشريان الحيوي للدولة الفاطمية للاتصال بالعالم الخارجي، كما كانت تعتبر ملتقى طرق القوافل التجارية الآتية من الصحراء و السودان الغربي حيث مراكز الذهب و الرقيق.(زغروت ،2006،ص224) .

كما كان الأمويون في أشد الحاجة لهذه الموانئ، فقد عمل الناصر بشتى الطرق و الوسائل لتخليصها من أيدي الفاطميين حتى لاتقع بلاده في حصار اقتصادي، ومن مظاهر اهتمام الناصر بأمور موانئ المغرب الأوسط أنه كان يستقبل بين الحين و الآخر عمال هذه الموانئ بمدينة الزهراء و يهاديهم بأثمن الهدايا، كما كان يرسل إليهم بالأموال الكبيرة ليقويهم و يحمي التجار الأندلسيين في هذه المراسي(ابن عذاري ،ج2، 2013 ،ص219) ،وكان الناصر لايتورع في استخدام القوة العسكرية على سواحل المغرب الأوسط إذا ما تأزمت الأمور و تعطلت خطوط الملاحة البحرية في عرض البحر المتوسط، و يشير ابن عذارى أن أسطول الناصر عندما وطأ سواحل البحر الأبيض المتوسط سنة344هـ قام باستعراض وحداته لتخويف الفاطميين (ابن عذاري ،ج2، 2013 ،ص219) ، وهو ما أدركه المعز لدين الله الفاطمي أهداف الناصر من وراء ذلك فأمر بتحصين السواحل، بل صمد أمام الهجوم البحري المشترك الذي قامت به أساطيل الناصر و الروم لضرب المراسي الفاطمية في عرض البحر المتوسط، و في هذا

الصدد يردف القاضي النعمان" ،و قد خرجت أساطيلنا لقتال أوليائه من المشركين و هي تنزل- الأساطيل الأموية في مراسي المغرب لا تمر بمرسى إلا و نزلت فيه ووضع من فيها الحرب على أهله"(القاضي،1996،ص178).

4. الاصطدام المسلح بين القوتين المتصارعتين في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ودور قبيلتي كتامة وزناتة فيهذاالصراع:

اعتنى الطرفان المتصارعان من الفاطميين و أموي الأندلس ببناء أساطيلهما الحربية للدفاع عن مناطق نفوذهما على السواحل الممتدة على البحر الأبيض المتوسط، فقد اهتم الأمويون في الأندلس بإعداد أسطول بحري قوي وبذلوا في ذلك جهودا كبيرة، إذ أمر الناصر بحشد قوات بحرية على طول السواحل الشرقية و الجنوبية ،و لاسيما في مضيق جبل طارق، وقد بلغ الأسطول في عهده مائتي مركب حربي وهو نفسه تقريبا ما كان يملكه الأسطول الفاطمي(زغروت ،2006،ص224)، وحرص على إعطاء أهمية كبيرة لجبل طارق لمنع تقدم السفن الفاطمية إلى سواحل الأندلس، ولم يكتف الناصر بسياسة التسلح بل ذهب بعيدا في إستراتيجيته المتوسطية حيث استولى على الكثير من الثغور في المغرب الأقصى كسبتة ومليلية و طنجة، كما استولى على موقع هام بالقرب من تلمسان في المغرب الأوسط و هو جزيرة"أرشقول" التي تسمى حاليا"رشقون" وتقع على نهر مصب تافنا، فتمت محاصرتها سنة(320هـ-932م) ، بمائة و عشرون قطعة بحرية(إبراهيم القادري ،2019 ،ص180) وكان هذا التحرك قد تم لمناهضة أبي العيش أحد أنصار الفاطميين الذي تحصن بالجزيرة المذكورة، وكاد الحصار أن ينجح بسبب انقطاع مياه الشرب لولا سقوط مياه الأمطار التي ملأت الآبار الجافة، فاستعاد السكان حيويتهم و استماتتهم في الدفاع عن الجزيرة،مما أجبر الأسطول الأندلسي على الانصراف نحو مدينة ألمرية(ابن أبي زرع،1973 ،ص84)

وفي نفس المنحنى العسكري المتوسطي بذل الفاطميون هم الآخرين جهودا كبيرة في إعداد أسطول بحري قوي في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط لحمايتهم من غارات الأمويين، وكان من بين الأسباب التي

دعت الفاطميين إلى تقوية أسطولهم البحري تلك الثورات الداخلية والخارجية على طاعة الفاطميين والتي كان يحركها الأمويون وحلفائهم الزناتيون في المغرب الأوسط في أعقاب ثورة أبي يزيد مخلد كما يشير إلى ذلك المقريزي (المقريزي.1967، ص102).

وقد تأثرت كل من قبيلتي كتامة وزناتة من جراء الصراع الفاطمي والأموي في عرض البحر الأبيض المتوسط فإن كان قد كتب لإحدى القبيلتين الظفر بجانب إحدى القوتين ونالت منها المكاسب المادية، فإنها فوائد لا تذكر بجانب ما استنفذوه من مواردهما البشرية والمالية من أجل خدمة المطامع السياسية للفاطميين والأمويين(زغروت ،2006، ص67)،

توالت الاشتباكات البحرية بين أساطيل القوتين المتصارعتين من317-342هـ سيطر فيها الأسطول الأموي فيها على المراكز الساحلية بين وهران وطنجة سنة320هـ، فانحازت إلى الأمويين قبيلة مغراوة بغرب المغرب الأوسط بزعامة قائدها محمد بن خزر المغراوي،فأصبحوا الحاجز الأمامي في وجه التحرك الشيعي نحو الغرب، كما انضمت مكناسة تاهرت إلى الأمويين منذ328هـ، وبذلك أصبحت قبائل زناتة وكتامةومغراوةومكناسة إلى جانب تحركات الفاطميين البحرية في عرض البحر الأبيض المتوسط (عزاوي، ج1 ،2008، ص174)

وقد شهدت الفترة الممتدة من342-361هـ/953-972م صراعا بحريا قويا بين الفاطميين و أموي الأندلس في عرض البحر الأبيض المتوسط كان لهاتين القبيلتين دور أساسي فيه، وكانت أهم الاصطدامات البحرية تلك التي وقعت بين سنتي344-345هـ/955-966م، فقد حدث هجوم بحري أموي على سفينة فاطمية بين صقلية و افريقية رد عليها الفاطميون بهجوم على مرسى ألمرية،فتحرك الأسطول الأموي إلى نهب بعض سواحل افريقية(ابن عذاري ،ج2، 2013 ،ص206) و استمرت الحملات متبادلة بين الطرفين المتصارعين،و في سنة346هـ/957م سير أمويو الأندلس حملة بحرية كبيرة نحو سواحل افريقية شاركت فيه معظم العناصر التابعة له من الزناتيين بقيادة يعلى بن محمد الزناتي صاحب مدينة تاهرت في المغرب الأوسط،ثم وجه هذه الحملة لضرب الدولة الفاطمية في عقر دارها،وقد أثارت هذه الحملة حفيظة

الفاطميين بقيادة المعز لدين الله،فقرر هذا الأخير أن يضع حدا لعبث الأمويين و أتباعهم من زناتة تاهرت المغرب الأوسط، ولكنه لم يتمكن من الوصول إلى أهدافه إذ أعد له الأمويون خطة سياسية و عسكرية حيث امتد بنفوذه حتى الساحل الشمالي للمغرب الأقصى و سيطرته على مضيق جبل طارق و تحصين الثغور الجنوبية و الشرقية لعدوة الأندلس التي كانت أكثر مطمعا لضربات الفاطميين.(القاضي،1996 ،ص174).

وفي سنة349هـ/960م جهز الخليفة المعز لدين الله الفاطمي حملة عسكرية كبيرة نحو سواحل المغرب الإسلامي بقيادة جوهر بن عبد الله الرومي وحلفائه من قبيلة زناتة، فتمكن هذا الأخير من اجتياح المغربين الأوسط و الأقصى،و أنزل هزيمة قاسية بحلفاء الأمويين من زناتة ومنهم بنو خزر،وقطع دعوة الأمويين وردها للفاطميين (ابن عذاري، ج2، 2013، ص223).

ومن خلال الاشتباكات و الاصطدامات البحرية بين الفاطميين و أموي الأندلس، يظهر جليا تفوق القوى البحرية الفاطمية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط إبان تواجدها في المغرب الإسلامي،ويرجع هذا التفوق البحري للفاطميين إلى عديد الجوانب، من ذلك كثرة القواعد البحرية في بلاد المغرب، فقد كان لامتداد سواحل المغربين الأدنى و الأوسط واتصالها شرقًا بسواحل برقة وطرابلس وغربًا بسواحل المغرب الأقصى، أثر كبير في تعدد الموانئ التي تصلح لاتخاذها قواعد بحرية هامة(زغروت ،2006،ص148) ، بالإضافة إلى كثرة الخلجان التي تتعمق في الداخل، مما يجعل القواعد البحرية في حماية من الرياح والتيارات المائية فضلا عن ذلك، استغلّ الفاطميون توفّر المواد الخام لصناعة السفن من أخشاب وحديد وألياف وقطران، ودور الصناعة في المنطقة، وساعد هذا الأمر في إقامة الفاطميين لأسطول بحري قوي. أما دور صناعة السفن فبإضافة لدار الصناعة في تونس والقائمة منذ أيام الأمويين بنى الفاطميون دار صناعة في المهدية، دار صناعة في سوسة، ودار صناعة في مدينة مرسى الخرز،وقد تخصصت كل دار في إنتاج نوع معين من السفن، ومما ساعد أيضا تفوق البحرية الفاطمية سيطرة الفاطميين على

الجزر الواقعة تجاه السواحل الفاطمية مثل جزيرة صقلية والتي صارت من أكبر مراكز التجمع البحري للأساطيل الفاطمية وذلك بهدف الإغارة على الأندلس (أحلام حسن، م4، ع3 2016،ص2016) .

واستمر الصراع الفاطمي الأموي حتى بعد انتقال الفاطميين لمصر سنة361هـ، حيث أن الوضع المضطرب الذي عاشته الدولة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، و إدراكها استحالة ظفرها ببلاد الأندلس رغم قوتها البحرية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط،فكرت في الانتقال لمصر،مستخلفة بذلك بنو زيري على أعمال بلاد المغرب الإسلامي نتيجة للولاء الذي قدمه هؤلاء لها،فتم تعيين بلكين بن زيري الصنهاجي نائبا له وقد تحرك هذا على رأس جيش من صنهاجة لإبعاد النفوذ الأموي من بلاد المغرب الإسلامي،و إثبات استمرار قوة الفاطميين رغم انتقال مركزهم إلى مصر(عزاوي،2008،ص177).

4. الخاتمة:

والحاصل من هذه الدراسة أن المجال المتوسطي الغربي سجل لأول مرة تصادم خلافتين إسلاميتين متزامنتين و هما في أوج قوتهما العسكرية و المذهبية، و بعد أن بينا أشكال الصراع الفاطمي الأموي في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط،وجدنا أن القوى القبلية كان لها دورا بارزا في هذا الصراع،فكان من جراء ذلك الصراع التي حرك بواعثها المتصارعون حلفان كبيران متعاديان هما: حلف بزعامة كتامة و صنهاجة لمناصرة الفاطميين، وحلف بزعامة زناتة لتأييد الأمويين،وكان لهذه القبائل التي كانت تقطن المغرب الأوسط في الاشتباكات و الإصطدامات البحرية التي عرفها الصراع الفاطمي الأموي.

كما أبرزت الدراسة الأساليب التي استعملها الطرفان المتصارعان لكسب مناطق النفوذ في عرض البحر الأبيض المتوسط، من قبل عمليات التجسس، ومحاولات كل من الطرفين المتصارعين تدعيم الثوار ضد الآخر،و البحث عن الحلفاء من القوى السياسية والقبلية في بلاد المغرب الإسلامي.

كان للبعد الاقتصادي دوره الكبير في حجم هذا الصراع بين الخلافتين من أجل السيطرة على المسالك البحرية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وكانت موانئ ومراسي المغرب الأوسط قد استحوذت

عنوان المقال:الصراع بين الفاطميين والأمويين في الأندلس في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وتأثيره على المغرب الأوسط

على جل اهتمام الدولتين المتصارعتين نتيجة لإدراكهما قيمة المناطق الساحلية للمغرب الأوسط، فقد عمد الأمويون إلى توطيد علاقتهم بمدن سواحل المغرب الأوسط وأقاموا عدة موانئ ساحلية على سواحل الأندلس توازي موانئ المغرب الأوسط.

كما بينت الدراسة اعتناء الطرفان المتصارعان من الفاطميين والأمويين في الأندلس ببناء أساطيلهما الحربية للدفاع عن مناطق نفوذهما على السواحل الممتدة على البحر الأبيض المتوسط، فقد اهتم أمويو الأندلس بإعداد أسطول بحري قوي وبذلوا في ذلك جهودا كبيرة، وقد عملت هاتان القوتان المتصارعتان على تجييش الأساطيل والقوة البحرية لكسب المعركة، وقد انخرطت القوى القبلية في المغرب الأوسط مثل كتامة وصنهاجةوزناتةوالتي كانت تسكن المغرب الأوسط في الاشتباكات البحرية التي كانت في عرض البحر الأبيض المتوسط.

يمكن استشراف عدة آفاق مستقبلية ومسارات بحثية تفتحها هذه الدراسة للباحثين في العلاقات السياسيةوالدراسات المذهبية والأدب الشعبي:

مسار العلاقات الدولية والجغرافيا السياسية: من خلال توازنات القوى الإقليمية: كيف أثر التنافس "الفاطمي–الأموي" على علاقة المنطقة بالقوى الأوروبية (جنوة، قطالونيا، الروم)، وهو مسار يربط التاريخ الإسلامي بالتاريخ الأوروبي الوسيط.

مسار الدراسات المذهبية والاجتماعية: وذلك بدراسة أثر الصراع على الهوية الدينية: كيف ساهم التنافس بين المذهبين السني (الأموي) والشيعي (الفاطمي) في تشكيل الخريطة المذهبية الحالية للمغرب الأوسط، ودور "الدعاية المذهبية" في ذلك.

مسار"الأدب الشعبي والتراث غير المادي:كان الصراع بين الخلافتين الأموية والفاطمية صراعاً "إعلامياً" بامتياز، يمكن تتبع الأشعار الشعبية والأهازيج التي كانت ترددها القبائل الموالية لكل طرف. فالزناتيون

(حلفاء الأمويين) والكتاميون (حلفاء الفاطميين) كانت لديهم "تغريبات" وأشعار فخر وهجاء متبادل تعكس حدة الصراع المذهبي والسياسي.

5. قائمة المصادر والمراجع:

-المصادر:

1-ابن أبي زرع، الفاسي، (1973)، روض القرطاس في أخبار ملوك مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط .

2-ابن حوقل،النصيبي(1938) صورة الأرض منشورات مكتبة الحياة بيروت1379هـ ومطبعةليدن.

2-ابن خلدون،عبد الرحمن، (1958) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج4، مطبعة بولاق المصرية .

4-ابن عذاري، المراكشي (2013) البيان المغرب في أخبار المغرب، تحقيق محمود بشار عواد ومعروف بشار عواد ج2، دار الغرب الإسلامي لبنان.

5-أبو الوليد عبد الله، بن محمد بن يوسف الأزدي(1989) تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري،دار الكتب الإسلامية دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني، ط2 مصر ولبنان.

6-البكري، أبو عبد الله،(1911) المغرب في وصف إفريقيا والمغرب، نشر مطبعة دوسلان، الجزائر.

7-الحسن،الوزان،(1983) وصف إفريقيا،تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر ج1، دار الغرب الإسلامي بيروت.

8-عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الدباغ،(1968) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان الدباغ، ج3، تحقيق إبراهيم سبوح مكتبة الخانجي مصر، ط2.

9-القاضي، النعمان،(1996) المجالسوالمسايرات، تحقيق حبيب الفقه ومجموعة من المحققين، دار المنتظر، بيروت لبنان.

10-المقريزي،تقي الدين،(1967) اتعظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين،نشر جمال الدين الشيال، القاهرة

11-مؤلف، مجهول، (2005) مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى،المغرب.

المراجع:

12-إبراهيم التهامي،(2012) جهود علماء المغرب في الدفاع عن أهل السنة،دراسة في الصراع العقدي في المغرب العربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس الهجري،مؤسسة الرسالة ناشرون،بيروت لبنان الطبعة الأولى.

13-أحمدعزاوي،(2008) مختصر في تاريخ الغرب الإسلامي، ج1مطبعة ديور جامع الرباط،المغرب.

14-السيدعبدالعزيز سالم،(2008)، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية (ب.ت).

15-عبد العزيز فيلالي،(1983) العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر.

16-فتحي زغروت،(2006) العلاقات بين الأمويين والفاطميين في الأندلس والشمال الإفريقي300هـ-350هـ، دار التوزيع والنشرالإسلامية، مصر القاهرة.

17-محمد صابر، (1973) سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط من أوائل القرن الثاني الهجري حتى نهاية العصر الفاطمي، عالم الكتب القاهرة.

18-مصطفى مسعدسامية(2000)، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية،دار عين للدراسات والبحوث في العلوم الإنسانية والاجتماعية الطبعة الأولى.

19-وديع أبو زيدون، (2005) تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة، المكتبة الأهلية للنشر والتوزيع الطبعة الأولى، الأردن.

الأطروحات:

20- عبد الجليل ملاخ،(2017-2018) الحركات المذهبية بالأندلس وآثارها السياسي والفكري(138-479هـ/756-1086م)، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر2، قسم التاريخ .

21- ليلي النجار،(1983) العلاقات بين المغرب والأندلس في عهد الرحمان الناصر (300-350هـ/712-761م) رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم الدراسات التاريخية والحضارية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية.

المقالات:

22-إبراهيم القادري بوتشيش،(2019) الفاطميونومشروع غزو الأندلس، صراع خلافتين إسلاميتين في غرب البحر المتوسط خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، مجلة كان التاريخية العدد الخامس والأربعون، السنة الثانية عشر سبتمبر.

23-أحلام حسن النقيب،(2007) الأسطول الفاطمي نموذج للتفوق البحري الإسلامي،مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية للبنات، المجلد4 العدد3، العراق .

24-محمد اللافي عطية،(2014) ثورة ابن حفصون وآثارها على الدولة الأموية في بلد الأندلس،مجلة جامعة الأسمرية العدد23 السنة11 .

25-محمود إسماعيل،(1976) المالكية والشيعة في افريقية إبان قيام الدولة الفاطمية، المجلة التاريخية المصرية، العدد23، العدد23، السنة 1976